مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً

العدد الثانى

1985

- من قضايا الفكر والعقيدة
- مذاهب بلا إسلام
- معارف إسلامية
- مخطوطات ليبية
- دور الفكر الواقعى فى النهضة الإسلامية

المسلمون فى الأندلس وصقلية

• الدكتور امين الطيبى •

نستهل هذا البحث بنبذة موجزة عن تاريخ المسلمين فى كل من الاندلس ، وجزيرة صقلية ، ثم سنتناول فى عرض عام أثر المسلمين فى هذين البلدين - او عن طريقهما - واسهامهم المادى والفكرى فى مختلف جوانب الحضارة والنهضة الأوربية فى آواخر القرون الوسطى ، وذلك فى ميادين النشاط الاقتصادى ، والطب وعلم النبات ، والفلسفة ، والآداب ، والجغرافيا والملاحة البحرية ، والرياضيات والفلك ، والموسيقى ، والمفردات المستعارة من العربية .

المسلمون فى الأندلس - لمحة تاريخية

بدأ افتتاح المسلمين لشبه جزيرة إيبيرية فى سنة ٩٢هـ/ ٧١١م ، وفى أقل من خمس سنوات حلوا محل القوط ، وسيطروا على كافة شبه الجزيرة تقريبا ، لا بل وعبروا جبال البيرانيز (البرت) الى بلاد غالية (فرنسا) ، واتخذوا من ناربون فى إقليم سبتمانيا بجنوب فرنسا قاعدة لهم فترة غير قصيرة .

وبعيد سقوط الدولة الأموية فى المشرق على ايدى العباسيين (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)

تمكن الأمير الأموى الشاب عبدالرحمن الداخل من إنشاء إمارة أموية فى قرطبة مستقلة عن الخلافة العباسية ظلت قائمة نحو من ثلاثة قرون ، ثم قامت إثر سقوطها دول الطوائف فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . ومع ان الأندلس شهدت فترة ازدهار فى العلوم والآداب على عهد أمراء الطوائف ، الا أن تفكك البلاد أطمع فيها صاحب ليون وقشتالة المتربص بها فاستولى على طليطلة عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ، فكانت طليطلة أولى قواعد المسلمين التى سقطت فى أيدى النصارى . واستجاب سلطان المرابطين فى المغرب ـ يوسف بن تاشفين ـ لاستصراخ ملوك الطوائف ، فاوقع بصاحب ليون وقشتالة هزيمة ساحقة فى موقعة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م ، وبذلك مد المرابطون من عمر الاسلام فى الأندلس قرونا . ثم جاء دور الموحدين بعد المرابطين ، وقاموا هم أيضا بدورهم فى الجهاد فى الاندلس فى بداية دولتهم ، ثم حلت هزيمة العقاب (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) بالسلطان الموحدى الناصر ، وعلى الأثر تهاوت قواعد المسلمين فى أيدى النصارى تباعا (قرطبة ، بلنسية ، جيان ، اشبيلية) ، ولم يبق فى ايديهم فى منتصف القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، سوى مملكة غرناطة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من البلاد ، حيث حكم بنو الأحمر حتى سقوط غرناطة فى يد فرديناند وإزابيلا عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م ، وهكذا فإن الاسلام عمر فى بلاد الأندلس نحوا من ثمانية قرون ، لا بل وبقى قرنا آخر بعد سقوط غرناطة ممثلا فى الموريسكو الذين أكرهوا على التنصر ، فتنصروا ظاهريا ، ومع ذلك طردوا نهائيا من البلاد عام ١٦٠٩م ، واستقر معظمهم بين إخوانهم فى شمال افريقيا .

لقد عامل المسلمون اهل الذمة فى الاندلس ـ من نصارى ويهود ـ معاملة كريمة ويعرف النصارى المستعربون باسم المستعربين mozarabs وكان لهم رئيس يعرف بالقومس ، وقاض يعرف بقاضى النصارى او العجم ، وقد قام هؤلاء المستعربون بدور مهم فى نقل الحضارة العربية الاسلامية الى الممالك المسيحية بشمال اسبانيا وجنوب فرنسا ، وكانوا أداة وصل بين شطرى اسبانيا ، ولم ينقطعوا عن التنقل بين اراضى المسلمين واراضى النصارى فى الشمال فعملوا بذلك على نشر الثقافة الاسلامية بين اهل الشمال ، وبخاصة عن طريق ترجمة كتب المسلمين .

كذلك فان اليهود رحبوا بمقدم العرب الفاتحين بعد كل ما عانوه من اضطهاد فى عهد القوط ، ويعتبر اليهود أن الفترة الذهبية من تاريخهم كانت فى ظل الاسلام فى الاندلس حيث حظوا بحرية لم يعهدوها من قبل ، كما اثروا عن طريق التجارة فى الداخل والخارج . وكان اليهود ـ كالمستعربين ـ واسطة لنقل مظاهر الحياة الاسلامية الى الشمال المسيحى ، واضطلعوا بدور كبير فى ترجمة المصنفات العربية الى اللاتينية والقشتالية ، مما جعل الفقيه الاشبيلى ابن عبدون ـ فى مستهل القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ـ يدعو الى ان « لا يباع من اليهود ، ولا من النصارى ، كتاب علم الا ما كان من شريعتهم ، فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها الى اهلهم واساقفتهم ، وهى من تواليف المسلمين » (١) .

لقد أثرى العرب الحياة فى شبه جزيرة ايبيرية فى مجالات الزراعة والصناعة والأدب والفن المعمارى .

إن المفردات الكثيرة الباقية فى الاسبانية والبرتغالية والمتصلة بالحياة المادية تبين مدى ما تدين به اسبانيا والبرتغال للعرب فى الأمور الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية الى حد ما . وفى مجال الثقافة ينبغى اعتبار التراث العربى ذا اهمية بالغة لا لاسبانيا فحسب بل ولكافة اوربا الغربية ايضا . فقد توافد على الأندلس الطلبة المتعطشون الى المعرفة من كثير من البلدان الأوربية لتعلم اللغة العربية ، وتلقى العلوم العربية ، وقاموا بترجمة الكثير من الكتب العربية الى اللاتينية . وكانت مدينة طليطلة أول مركز علمى عظيم لنقل الثقافة من الاسلام الى المسيحية فى الغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين . كما نلمس أثر العرب فى ميدانى العلوم والفلسفة فى اوربا فى العصر الوسيط ، اذ انهم أثروا هذه العلوم باحتفاظهم بتراث القدامى وبما اضافوه اليه (٢) .

كانت قرطبة فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى اكثر مدن اوربا تمدنا (**كفيينا فى القرن التاسع عشر**) ، وكان القادمون من شمال اوربا يسمعون - بشىء من الرهبة - عن المدينة التى احتوت على عشرات المكتبات ، وعلى مئات الحمامات العامة (٣)

يحدثنا عن قرطبة فى القرن التالى كبير مؤرخى الأدب الأندلسى ابو الحسن على ابن بسام السنتريني (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) فيقول : « "وحضرةٌ قرطبة منذ استفتحت الجزيرة ، هى كانت منتهى الغاية ، ومركز الراية ، وام القرى ، وقرارة أهل الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى ، وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الاسلام ، وحضرة الامام ، والسبب فى ذلك ... ان أفقهم القرطبى لم يشتمل قط الا على أهل البحث والطلب ، لأنواع العلم والأدب ... » (٤) .

فلا عجب ان يكون بعض علماء الأندلس قد قال فيها :

باربع فاقت الامصار قرطبة ٭ منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ٭ والعلم اعظم شىء وهو رابعها (٥)

المسلمون فى صقلية - لمحة تاريخية

بدأ افتتاح العرب لجزيرة صقلية على أيدى الروم البيزنطيين فى عهد الأغالبة أمراء افريقية (**القيروان**) فى صيف عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م ، وسرعان ما استولوا على الجزيرة واتخذوا بلرم عاصمة لهم . وقد بقيت جزيرة صقلية تحت السيادة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن (٢١٢ - ٤٨٤هـ/ ٨٢٧ - ١٠٩١م) . كما سيطر المسلمون على جنوب ايطاليا (**قلورية ويولية**) لعدة سنوات واقاموا إمارة عربية بمدينة بارة (**بارى**) عاشت نحو عشرين عاما .

ومما يذكر ان سكان صقلية تحسنت أحوالهم فى فترة السيادة العربية على الجزيرة وأصبحت خيراً من أحوال إخوانهم فى إيطاليا . ولم يفرض عليهم - بوصفهم ذميين سوى دفع الجزية . وقد ازداد عدد المسلمين فى الجزيرة بعد الفتح لتدفق المستوطنين من شمال افريقيا ، وكذلك نتيجة لاعتناق معظم سكان الجزيرة الدين الاسلامى - ولما زار الرحالة المشرقى ابن حوقل صقلية فى منتصف القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى - اى بعد قرن ونصف القرن من بداية الفتح الاسلامى - لاحظ « ان **بمدينة بلرم نيفا وثلاثمائة مسجد** » مما يدل على مدى وسرعة التغلغل الاسلامى فى الجزيرة (٤) . وقد بلغت الجزيرة فى عهد ولاتها للفاطميين ، بنى ابى الحسين الكلبيين (٣٣٦ - ٤٣١هـ/٩٤٧ - ١٠٤٠م) أوجها الحضارى واجمالا فان فترة سيادة المسلمين على جزيرة صقلية تميزت بالتسامح الدينى ، والارتقاء الحضارى كما تميزت بالازدهار الزراعى والنشاط التجارى .

أحدث العرب تغييراً مهما فى نظام ملكية الارض وتوزيعها . والمفردات العربية الكثيرة فى اللهجة الصقلية شاهد على مبلغ اهتمام العرب بالزراعة . فقد أدخلوا الى الجزيرة - كما فعلوا فى الاندلس - عدداً من النباتات الجديدة ، كما وسعوا من رقعة الاراضى المزروعة باستخدام وسائل الرى (٥) .

مرت صقلية الاسلامية فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى بفترة من الفتن والمنازعات الداخلية أشبه ما يكون بفترة ملوك الطوائف المزامنة لها فى الاندلس . بيد أنه فى حين قيض الله للاندلسيين قيام دولة المرابطين الفتية المجاهدة فى المغرب فهبت لانقاذهم من السقوط فى أيدى النصارى ، فإن صقلية لم تجد لنفسها نصيراً اذ كانت الدولة الفاطمية التى تتبعها الجزيرة تعانى من ضعف شديد ، فسقطت الجزيرة فى أيدى النورمان بجنوب ايطاليا . على أن استيلاء النورمان على صقلية لم يكن مع ذلك بالأمر الهين ، فقد صمد العديد من المعاقل والمدن الاسلامية فى وجههم نحو ثلاثين عاما الى أن تم للنورمان آخر الامر فرض سيادتهم على الجزيرة عام ٤٨٤هـ / ١٠٩١ .

حكم النورمان صقلية قرناً من الزمن (١٠٩١ - ١١٩٤) . ولما كانوا حديثى العهد بالحضارة فإنهم اعتمدوا على المسلمين فى الادارة وفى الدواوين والبلاط الملكى . وفى أعمال البناء والتشييد . وكان لثانى ملوك النورمان رجار الثانى عباءة ملكية صنعت بدار الطراز فى بلرم طرزت على حاشيتها كتابة عربية بالخط الكوفى والتاريخ الهجرى ٥٢٨ (٣ - ١١٣٤م) .

ولرجار الثانى - وتحت رعايته - صنف الشريف الادريسى كتاب (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) المعروف بكتاب رجار . وظلت العملة العربية - وهى المعروفة بالرباعى - العملة المتداولة فى صقلية وجنوب ايطاليا ، تماما كما كانت المثاقيل المرابطية والموحدية العملة المتداولة فى ممالك إسبانيا المسيحية حتى بعد تقلص نفوذ المسلمين واراضيهم فى الاندلس .

وفى سنة ٥٨٠هـ / ٤ ـ ١١٨٥م مر الرحالة الأندلسى ابن جبير بجزيرة صقلية على عهد ملكها النورمانى وليام الثانى ـ أى بعد نحو قرن من خروج السيادة على الجزيرة من أيدى المسلمين ـ فذكر « أن الملك يقرأ ويكتب بالعربية ، وعلامته ... الحمد لله حق حمده ، وكانت علامة أبيه : الحمد لله شكرا لأنعمه » (٦) .

وبعد النورمان وفى عهد الأمبراطور فردريك الثانى (حكم ١٢١٥ ـ ١٢٥٠م) وكان شديد التعلق والتأثر بكافة أوجه الثقافة العربية الاسلامية ـ بقيت ـ بل وازدهرت ـ الثقافة الاسلامية فى الجزيرة بفضل اهتماماته بالعلوم الاسلامية وصلاته الواسعة مع سلاطين المسلمين .

الا ان الحال تبدل فى عهد شارل أنجو الذى انتزع الجزيرة من ابن فردريك عام ١٢٦٦م ـ وكان شارل هذا من غلاة الكاثوليك كأخيه الملك الفرنسى لويس التاسع ـ فأكره المسلمون على التنصر أو الرحيل .

ان دور صقلية وايطاليا فى انتقال التراث الفكرى العربى الى بقية بلدان أوربا دون دور الأندلس ، ومع ذلك فإن عظمة مملكة صقلية النورمانية فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ادت ـ بفضل مسلمى الجزيرة ـ الى قيام حركة النهضة الايطالية . ففى ايطاليا اتصل علماء اللاتينية اتصالا وثيقا بروح التفانى فى دراسة العلوم والانكباب عليها ، وهى الروح التى تميز بها العلماء العرب « ومع الاهتمام جاءت الوسيلة : إخضاع الأمور لحكم العقل والطبع التجريبى » (٧) .

يقول أحد كبار المؤرخين المعاصرين من المتخصصين فى تاريخ صقلية الوسيط والحديث إن معلوماتنا عن تاريخ فترة السيادة العربية على جزيرة صقلية غامضة بعض الشىء لقلة المصادر التى وصلتنا من تلك الفترة . والمؤرخون النصارى الذين كتبوا عن تلك الفترة كانوا جهلة ومتحيزين ، فنزعوا الى التقليل من شأن منجزات العرب او الى إغفالها بالمرة . لذلك فإن إسهام العرب فى تاريخ صقلية وحضارتها نستدله من أثرهم الحضارى الكبير فى الفترة النورمانية (القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) . فالنورمان أعتمدوا كثيرا على الصناع العرب وعلى النظام الادارى العربي ، وهذا دليل كاف على وفرة ماقدمه العرب فى الفترة السابقة لحكم النورمان . والى اليوم نجد فى لهجة صقلية مئات الكلمات والتعابير العربية . ولولا قدوم النورمان ـ ولغتهم لاتينية ـ لكانت صقلية تتكلم اليوم لغةً قريبةً من اللغة المالطية (وهى لهجة عربية) (٨) .

وننتقل الآن الى عرض عام لأثر الأسلام فى الأندلس وصقلية فى جوانب من الحضارة الأوربية فى أواخر القرون الوسطى .

فى مجال الفلاحة وتقنياتها

فى مقال بعنوان (الثورة الزراعية العربية) يذكر الأستاذ الكندى أندرو واتسون ، أن العرب أدخلوا الى شبه جزيرة إيبريه غلات جديدة من بينها الأرز والذرة والقمح

الصلب وقصب السكر والقطن والنارنج (البرتقال) والليمون ومع المحاصيل الجديدة أدخلت وسائل جديدة فى الزراعة . فبعد ان كانت الأرض بورا فى فصل الصيف فقد بدىء ـ باستخدام الرى ـ باستغلالها على مدار العام . كما أدخل العرب نظام الدورات الزراعية (rotation of crops) كزراعة الذرة صيفاً بعد زراعة القمح شتاء . وتطلب ذلك استخدام الأسمدة التى صنف العرب فيها كتباً أشاروا فيها الى مختلف أنواعها وخصائصها . كما قام العرب فى الأندلس باصلاح قنوات الرى وتوسيع شبكاتها مما أدى الى توفير مزيد من الماء لمساحات أوسع من الاراضي . فازدادت بالتالى رقعة الأراضى المروية وغلاتها . وفى كتب الفلاحة الأندلسية ـ التي برع الأندلسيون فى تاليفها ـ تصنيف لأنواع التربة وما يصلح للزراعة فيها فابن العوام الاشبيلى يذكر أن القطن اخذ فى زراعته فى افقر الاراضى فى الاندلس وصقليه مما زاد من مداخيل الفلاحين وعمل على ثبات هذه المداخيل (٩) .

وكان للشريعة الاسلامية دورها فى التشجيع على الاستثمار فى الزراعة المروية فالأراضى المروية كانت تؤدى نصف الضريبة المجتباة عن الأراضى البعلية .

وفى اللغة الاسبانية كثير من الكلمات العربية المتصلة بوسائل الرى ، كالساقية acequia والبركة alberca والجب aljibe والناعورة noria والقادوس arca-duz والسد azud .

ويلاحظ ان اسم شجرة الزيتون بالبرتغالية لاتينى الاصل oliviera بينما اسماء الثمر والزيت فهما من العربية azeite azeitona .

وقد احتفظ الأسبان ـ بعد استحواذهم لأراضى المسلمين ـ بنظم الرى العربية كما هى : فتوزيع الماء بالدور ـ فى الأرجوانية ador ـ والمشرف على توزيع الماء فى القنوات يعرف ب savacequias (صاحب الساقية) والأمناء على القنوات alamis (الأمين) .

ويبدو ان نظام اليمن الزراعى انتشر فى واحات الصحراء بشمال افريقيا ومنها نقل الى الأندلس . ويظهر ذلك فى اسماء وحدات قياس الماء (القادوس) وأساليب القياس (الساعة المغطسة) وأسماء الموكلين بتوزيع الماء ـ فكلها تدل على اصل صحراوى . ومما يذكر ان هذه التسميات ما زالت مستعملة فى واحة غدامس يليبيا . وان القناة المعروفة باسم Favara earal ـ وهى ثانى اكبر القنوات فى غوطة بلنسية ـ مشتقة الاسم من قبيلة هوارة المغربية .

وأدخل العرب الى اوربا القمح الصلب Triticum durum وهو المعروف باسم « درمق » الذى انتقل الى القشتالية باسم adargama . ومن مزاياه احتماله للحرارة والجفاف (١٠) .

ان اولى الحدائق النباتية botanicl gardens فى اوربا ظهرت فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى فى طليطلة ثم فى اشبيلية ، وكانت جناناً للنزهة فضلا عن كونها مزارع تجريبية لتأقلم النباتات التى كانت تجلب من المشرق .

أما فى أوربا المسيحية فلم تعرف مثل هذه الحدائق حتى منتصف القرن السادس عشر حينما بدأت تظهر ـ بتأثير النمط الاسلامى ـ فى المدن الايطالية (١١)

وبالنسبة لجزيرة صقلية ، فان الحكم العربى للجزيـرة كان ، فى رأى المستشـرق الايطالى جابرييلى . ايجابياً ومفيـدا . بفضل التغييـرات التى أدخلها عـلى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الجزيرة . حيث ألغى نظام الاقطاعات الكبرى ، وشجع على تمليك مساحات زراعية صغيرة وأحى الزراعة الصقلية وأغناها بأساليب ومحاصيل جديدة . وتظهر الأهمية الحاسمة للفترة العربية فى هذا المجال فى وجود ألفاظ عربية كثيرة متعلقة بالحياة الاقتصادية حفظت فى اللهجة الصقلية ونقلت الى الايطالية وهى فى معظمها تتعلق بالرى والأدوات الزراعية ومنتجات التربة والأدوات المنزلية . (١٢) .ب

ان السياسة الاقتصادية المتفتحة التى انتهجها العـرب فى صقلية سـاعدت عـلى اكتساب رضا اهل الجزيرة . وقد اصبحت الجزيرة فى العهد العربى بلاداً زراعية غنية . ففيها غرس العرب اشجار الليمون ـالنارنج (اهم صادرات صقليـة اليوم) ، كمـا أدخلوا زراعة قصب السكر وطريقة عصره بالأرحية . وزراعة الأرز والقطن وأشجار التوت وتربية دودة القز وزراعة اشجار النخيل وشجر السمـاق ـ لأغراض الدبـاغة والصباغة ـ ونبات البردى والفستق الحلبى والبطيخ مما أحدث تغييـرا جوهـريا فى اقتصاديات الجزيرة . كما يبدو ان العرب جلبوا معهم من شمال افريقيا نوعاً جديداً من القمح الصلب الذى يعطى غلة ضئيلة الا انه يحتوى على نسبة عالية من البروتين ، ولا يحتاج الا الى القليل من الامطار . وكان ـ قبل كل شىء ـ صالحاً للخزين دون ان يفسد ، فكان لذلك مثاليا لمواجهة المجاعات ، ولتزويد المراكب به للاحيها وركابها .

وانتشرت فى صقلية المواجل والصهاريج لخزن الماء ، وقد ظلت قروناً عديدةً ويمكن تمييزها الى اليوم . وقد اكتسبت معظم مصادر المياه اسماء عربيةً ما زالت مستعملة .

ويرى ميشيل أمارى ـ المؤرخ الكبير للمسلمين فى صقلية ـ أن العرب قاموا بتوزيع الأراضى بعد تجزئتها الى قطع صغيرة ، وما زال باقيا فى الجـزيرة عـدد من الأسماء العربية للضياع والمزارع الصغيرة .

ويلاحظ ان زراعة القطن اختفت من صقلية فى القرن الرابع عشر . أى حينما خلت من سكانها المسلمين (١٣) .

ومازال النارنج يعرف فى صقلية narahzu كما يقال لزهرته Zayara . وتشهد بالدور الكبير الذى قام به العرب فى انماء فلاحة صقلية الألفاظ العربية العديدة المتعلقة بالزراعة والباقية فى اللهجة الصقلية مثـل noria الناعـورة . gebbia الجابيـة . Senia السانية . Zachia الساقية mazzara معصرة (١٤) .

فى مجال الرعى وتربية الأغنام والخيول

ان شهرة اغنام المرينو وأصوافها غنية عن التعريف ، فهذه الأغنام تعتبر اليوم فى مقدمة أغنام العالم من حيث جودة أصوافها . وبفضل احتكار اسبانيا لهذا النوع من الأغنام ، فانها سيطرت على السوق العالمى من منتصف القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر .

ان اغنام المرينو هذه أدخلت الى اسبانيا من بلاد المغرب ، وسميت باسم قبيلة بنى مرين احدى قبائل زناته فى المغرب الأوسط ، التى قامت بدور بارز فى الجهاد فى الأندلس فى اواخر ايام دولة الموحدين . ويرى المؤرخ الاقتصادى الفرنسى لومبار ان التسمية قد تكون كذلك مشتقة من الكلمة العربية (مون) ، للدلالة على نعومةالأصواف ودقتها ومرونتها (١٥) .

ان نظام الرعى فى اسبانيا من اصل مغربى : ففى اسبانياتنظيم يعرف باسم mesta ظل قائما الى القرن العشرين . وهو يشتمل على امتيازات ومسالك وأراض للرعى ونظامه التشريعى ، وهذه الكلمة mesta مأخوذة من كلمة (مشتى) العربية .

ان معظم المفردات الخاصة بالرعى فى القشتالية والبرتغالية من اصل عربى ، ففضلا عن mesta ثمة mostrenco (حيث صاحب القطيع مجهول الاسم ، فالقطيع مشترك) وهى من العربية (مشترك) . و alganame من (الغنام) وهو كبير الرعاة (١٦) .

ان الحصان المغربى صغير الحجم ، ولكنه يمتاز بالقوة والحيوية . ومنذ أقدم العصور هجنت خيول حوض البحر المتوسط ـ وخاصة فى ايطاليا واسبانيا وجنوب فرنسا ـ بالحصان المغربى . وبفضل الحملات فى الاندلس وصقلية . أدخل هذا الحصان الى البلدين ، ومنه جاء الحصان الاسبانى المعروف باسم jinete ـ وفى الانجليزية jennet وكذلك فى معظم اللغات الأوربية . والاسم مشتق من (زناتة) القبيلة المغربية التى اشتهرت بفرسانها وخيولها . لابل إن الكلمة الاسبانية jinete تعنى فارسا (١٧) .

فى مجال الصناعات

من اهم المساهمات النافعة التى قدمها المسلمون لاوروبا صناعة الورق . اذ لولا الورق ماكانت لتقوم المطابع ، ولا ان تنتشر الكتب والمعارف بين الناس .

وقبل صناعة الورق . كانت الكتابة إما على ورق البردى وإما على الرق (الجلد الرقيق) . ثم اخذ العرب صناعة الورق عن الصينيين . وأنشىء فى بغداد اول مصنع للورق على عهد هارون الرشيد فى اواخر القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى . وسرعان ماانتشرت صناعته فى المغرب والأندلس وصقلية . وكانت مدينة شاطبة ـ قرب بلنسية ـ بشرق الأندلس اهم مراكز صناعة الورق فى الاندلس ، ومازال الورق الجيد يعرف فى المغرب الاقصى بالورق الشاطبى . يذكر الادريسى صناعة الكاغد (الورق) بمدينة شاطبة فيقول إنه يعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمورة الارض ويعم المشارق والمغارب (١٨) . ويقول ياقوت الحموى إن شاطبة يعمل الكاغد الجيد فيها ويحتمل الى سائر بلاد الاندلس (١٩) .

ولم تصل اساليب صناعة الورق الى الغرب قبل القرن الثالث عشر ، حينما أقيمت

مصانع للورق فى ايطاليا وجنوب فرنسا . وأقدم وثائق الورق فى الغرب مستورد من مصانع الأندلس وصقلية (٢٠) .

ومما يذكر ان الكلمة العربية (رزمة) - أى حزمة من الورق - انتقلت الى اسبانيا resma ، ومنها الى الفرنسية القديمة rayeme ومن هذه الى الانجليزية resm (٢١) .

بعد الفتوح الاسلامية ، انتشرت زراعة اشجار التوت وتربية دودة القز فى كافة أرجاء حوض البحر المتوسط . وكان إنتاج الحرير من المبتكرات الكبرى التى أدخلت من الأندلس الى أوربا .

ومن صقلية - وبلاد الشام ايضا - وصلت أساليب تربية دودة القز وصناعة الحرير الى شمال ايطاليا (لوقة Lucca والبندقية) . وما إن حل القرن الثالث عشر الميلادى حتى اصبحت المنسوجات الحريرية الصناعة الرئيسية فى عدة مدن إيطالية . ثم أنشئت مصانع المنسوجات الحريرية فى فرنسا والمانيا ، ولا بد ان عمالاً مسلمين جلبوا للعمل فيها (٢٢) .

أدخل الامير عبد الرحمن الثانى (الأوسط)الى الأندلس فكرة (دار الطراز) ، وهو مصنع بالقصر ينتج ثيابا فاخرة للبلاط ، يطرز على حاشيتها اسم الأمير . ويشرف على الدار صاحب الطراز .

كانت مدينة المرية المركز الرئيسى لصناعة المنسوجات فى الأندلس ، وكان على منسوجاتها طلب كبير فى الكنائس ، ومن جانب الملوك والنبلاء فى اوروبا . يقول الادريسى إنه كان بمدينة المرية من طرز الحرير ثمانمائة طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والاصبهانى والجرجانى والستور المكللة والثياب المعينة والخمر والعتابى والمعاجر وصنوف انواع الحرير (٢٣) .

واشتهرت فى بلرم على عهد النورمان - وكان مما آل اليهم من العرب - دار الطراز الملكية - وعمالها كلهم من المسلمين - وفيها صنعت عباءة رجار الثانى الشهيرة - الموجودة فى احد متاحف فيينا - وعليها كتابة عربية مطرزة فى حاشيتها ، تفيد أنها من صنع دار الطراز الملكية ببلرم ، وعليها تاريخ صنعها بالسنة الهجرية ٥٢٨هـ (١١٣٣-١١٣٤م) (٢٤) .

ومما يذكر أن صاحب ارجوان جيمس الثانى أرسل صناعا مسلمين للحرير من اسبانيا الى صقلية ، وجلب صناعا مسلمين للقطن من صقلية الى اسبانيا ، وذلك للاستفادة من مهارتهم ، كما يجرى اليوم فى تبادل الخبرات الفنية بين الدول (٢٥)

وكانت زراعة قصب السكر من اهم المحاصيل التى ادخلها العرب الى كل من صقلية والأندلس . وكان السكر يصدر من مصر الفاطمية الى بزنطية والغرب . وأقدم إشارة الى شحنة من السكر Zucchero وصلت البندقية سنة ٩٩٦ م (٢٦) .

كان الاوربيون يستعملون قبل ذلك العسل للتحلية . وعرف الصليبيون قصب السكر فى بلاد الشام . ان تكرير السكر - وهو ابتكار صينى - انتقل غربا ولم يعرفه الاوربيون الا أوائل القرن الرابع عشر الميلادى (٢٧) . وفى تسميات السكر بمختلف اللغات

الأوربية ـ وهى مأخوذة ببعض التحريف من كلمة (سكر) العربية ـ دليل على انتقاله الى اوربا عن طريق العرب .

عرفت طريقتان لدبغ الجلود . أولهما تعرف باسم غدامسى guadamaci ـ نسبة الى غدامس فى ليبيا ـ وبها تتم دباغة جلود الغنم بنقعها فى الشب والملح . وتعرف الثانية باسم قرطبى . وبها تدبغ جلود الماعز بمواد نباتية . وقد تطورت هذه الاساليب فى الاندلس ومنها انتقلت الى غرب اوربا (٢٨) .

يذكر ياقوت الحموى ان فى غدامس تدبغ « **الجلود الغدامسية ، وهى من أجود الدباغ ، لا شىء فوقها فى الجودة كأنها ثياب الخز فى النعومة والاشراق** » (٢٩) .

ويتحدث الشريف الادريسى عن بلدة التربيعة الى الشرق من بلرم ـ وتعرف اليوم باسم Trabia ـ فيقول إنها « **محل ... به مياه جارية ، وعليه كثير من الأرحاء .ويصنع بها من الاطرية ما يتجهز به الى كل الآفاق من جميع بلاد قلورية (جنوب ايطاليا) وغيرها من بلاد الاسلام وبلاد النصارى ، ويحمل منها الاوساق الكثيرة** » (٣٠) . **والأطرية ـ على حد قول الباحث الايطالى مورينو ـ هى المكرونة الرقيقة غير المثقوبة (الشعرية)** Vermicel **ولا تزال تعرف عند الصقليين باسم** etria **وعند أهل مرسية بشرق الأندلس باسم** Eletria(٣١) .

انتشار العملة الاسلامية وأثرها .

ان قيام الدولة العربية المترامية الأطراف كان حافزاً قويا على النشاط التجارى وأصبح من المؤكد الآن ما كان للدراهم العربية من أهمية بالغة فى تبادل السلع بين التجار المسلمين وبين أهل الشمال المعروفين باسم فايكنجز او نورسمين ، فى روسيا ومنطقة بحر البلطيق ، بعد العثور على كميات كبيرة من دفائن الدراهم العربية فى هذه المناطق .وتعرف هذه الدراهم عند علماء النميات Numismatist بالنقود الكوفية Cufic لأن الكتابة المطبوعة عليها بالخط الكوفى . ومما يزيد من اهمية هذه الدراهم العربية لدى الباحثين انها تحمل تاريخ سنوات الضرب ، بخلاف العملات الاوربية التى كانت خلوا منها .

فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، كانت مملكة ميرسية mercia ـ بغرب انجلترا ـ اكبر ممالك الجزيرة وكان على رأسها الملك اوفا Offa وكانت عملته من الفضة الا انه ضرب ايضا عملة ذهبية خاصة محاكاة للدينار العربى . وقد عثر على احد دنانيره فى روما ، وهو يحمل سنة الضرب بالتاريخ الهجرى ١٥٧ (٧٧٤ م) . ويبدو ان المكلف بضرب دينار الملك « اوفا » لم يدرك ان الدينار الذى كان يحاول تقليده كانت عليه كتابة باللغة العربية ، ونتيجة لذلك فإن اسم ملك ميرسية ـ الملك أوفا ـ يظهر على الدينار مقلوبا يتوسط عبارتى (**لا اله الا الله . محمد رسول الله**) ، كما ان التاريخ الهجرى نقل كما هو على الدينار العربى المقلد ـ اى ١٥٧ (٣٢) .

وفى فترة حكم النورمان لجزيرة صقلية (**القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى**)ظلت عملاتهم تضرب وعليها كتابة عربية بالخط الكوفى ، وبعضها يحمل التاريخ الهجرى وعبارة (**محمد رسول الله**) . كما ظل الرباعى الفاطمي - أى ربع الدينار - متداولا . وعلى منواله ضربت عملة نورمانية عرفت باسم tari وكانت كالرباعى شكلا وقيمة . وقد تبين الآن ان العملة المعروفة عند النصارى باسم tari مشتقة من الكلمة العربية (**طرى**) .بمعنى حديث الضرب ، وهى صفة استعملت لنعت الرباعى فى صقلية العربية . ومن صقلية انتقلت التسمية الى ايطاليا وفرنسا واسبانيا ومالطا (٣٣) .

لقد كان للدينار العربى أثر كبير على اقتصاد اوربا ، ولعب دورا رئيسياً فى المبادلات التجارية الدولية . وقلده الاوروبيون فى عملاتهم كالفلورين والدوقة الايطاليتين ، كما قلد الصليبيون فى المشرق الدنانير الفاطمية .

وفى شمال شبه جزيرة ليبيرية ظهرت عملة تعرف باسم mancusos (**من العربية منقوش**) ، وهى تسمية شاعت فى بعض الممالك المسيحية بشمال اسبانيا للدينار العربى الذى أخذت تلك الممالك فى محاكاته فى فترة ملوك الطوائف (**القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى**) .

أما الدينار او المثقال المرابطى فكان - لجودته - واسع الانتشار وعليه اقبال كبير فى ممالك اسبانيا المسيحية وقد عرف فى القشتالية القديمة باسم mitical ، metical من مثقال العربية ، فالمرابطون - وقد امتدت رقعة إمبراطوريتهم من نهر إبرة شمالا الى نهر السنغال جنوبا ، وسيطروا على مواطن الذهب فى غانة وعلى تجارة القوافل عبر الصحراء - ضربوا دنانير من الذهب الخالص كان عليها إقبال كبير فى داخل أمبراطوريتهم وخارجها حتى إن باحثا حديثا اطلق عليها اسم "**دولار القرون الوسطى**" وقد قلدها الفونس الثامن ملك قشتالة وليون فضرب دنانير على غرارها سنة ١١٧٣م عرفت باسمه Le Moribeti Alfonsi .

وكان لقيام دولة الموحدين فى اعقاب دولة المرابطين أثر كذلك على نظام العملة فى الممالك النصرانية فى شمال جزيرة ايبيرية حيث ظهرت العملة المعروفة باسم dobla (**ضعف الدينار**) . وحلت محل المثقال المرابطى وكان نصف الدوبلة يعرف باسم mazmudi-na **نسبة الى قبائل المصامدة التى قامت على اكتافها دولة الموحدين . وقد ظلت الدوبلة متداولة كوحدة للذهب فى قشتالة حتى زمن العاهلين الكاثوليكيين فرديناند وايزابيلا . أى الى اواخر القرن الخامس عشر الميلادى (٣٤) .**

ان وجود عدد من المفردات العربية الاقتصادية فى مختلف اللغات الاوربية دليل على انه كان للتجارة والتقاليد العربية الاسلامية تأثير عميق على الحياة الاقتصادية وتطورها فى البلدان الاوربية . فالكلمة الايطالية zecca مشتقة من (**دار السكة**) وكلمة cheque مشتقة من العربية (**صك**) والكلمة الهولندية wechsel والكلمة الألمانية wissel من (**وصل**) ، والمصطلح الجمركى tariffمن العربية (**تعريف**) ولعل كلمة traffic - بمعنى المتاجرة - هى ايضا من العربية (**تفريق**) .

وفى اللغة الاسبانية العديد من التسميات لمناصب ومصطلحات ذات صبغة مالية وتجارية مازال بعضها متداولا وهى من أصول عربية منها aL mojarife من (**المشرف**) ـ وكان فى الاندلس مراقبا للخزانة والشؤون المالية ـ و gabelle من العربية (**قبالة**) . وكانت ضريبة تفرض على المبيعات فى الاسواق . alfarda من العربية (**الفرضة**) . وهى ضريبة خاصة افترضها المرابطون على اليهود للمساعدة فى تجهيز الحملات لاغراض الجهاد .

فى مجال الطب وعلم النبات .

يعد الرازى rhazes أول وأعظم اطباء المدرسة العربية وله اكثر من مائتى مصنف فى الطب اشهرها مقالته عن الجدرى والحصبة التى ترجمت الى اللاتينية فى فترة مبكرة وطبعت فى اوربا أكثر من اربعين مرة ما بين عامى ١٤٩٨ و ١٨٦٦م واعظم مؤلفاته (**الحاوى**) وهو موسوعة عن كافة العلوم الطبية وقد ترجم فى صقلية عام ١٢٧٩م الى اللغة اللاتينية وطبع مرارا حتى منتصف القرن السادس عشر ولذلك فان تأثيره فى الطب الاوربى كان كبيرا جدا (٣٥) .

ومن اقدم ماترجم من كتب الطب العربية الى اللاتينية كتاب (**كامل الصناعة الطبية**) المعروف باسم (**الكناش الملكى**) لعلى بن العباس المجوسى hally abbas وكان ذلك سنة ١١٢٧م على يد الايطالى اسطفان الملقب بالانطاكي .

أما كتاب (**القانون فى الطب**) لابن سينا avicenna فقد ترجمه الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر جيرارد الكريمونى . ولكثرة الطلب على الكتاب فقد ظهرت منه خمس عشرةطبعة فى الربع الأخير من القرن الخامس عشر كما اعيد طبعه اكثر من عشرين مرة فى القرن السادس عشر وظل كتاب (**القانون فى الطب**) يطبع ويقرأ حتى اواخر القرن السابع عشر ولعله لم يقرأ كتاب طبى بقدر ما قرىء كتاب ابن سينا (٣٦) .

وفى الاندلس اشتهر من بين اطبائها الزهراوى ، وابن زهر ، وابن رشد ، وابن الخطيب ،ويعد ابو القاسم خلف الزهراوى (**ت ٤٠٤ هـ/ ١٠١٣م**) رائد علم الجراحة فى القرون الوسطى وكان لمصنفاته فى الجراحة أثر كبير فى اوربا حتى القرن الثامن عشر حيث عرف باسم albucasis المحرفة عن كينته (**ابو القاسم**) ويعتبر كتابه (**التصريف لمن عجز عن التأليف**) موسوعة طبية وقد ترجم الى اللاتينية وكثر اعتماد الناس عليه فى العصور الوسطى وظل قرونا الكتاب المعتمد فى الجراحة فى سالرنة ومونبيليه وغيرهما من مدارس الطب فى أوروبا ، والكتاب يشتمل على ثلاثين مقالة اشهرها : المقالة الثلاثون عن الجراحة التى ترجمها الى اللاتينية جيرارد الكريمونى فى طليطلة فى اواخر القرن الثالث عشر وكان لها تأثير كبير على الجراحين الايطاليين والفرنسيين . ان كتاب الجراحة كان اهم واذيع كتاب فى الطب فى العصر الوسيط وصاحبه اول مؤلف جعل الجراحة علما قائماً بذاته مستقلا عن الطب قائما على اساس التشريح ، وهو اول كتاب يتناول موضوع

الجراحة بشكل معقول مع توضيح بالرسوم للالآت الجراحية ، وهو يصف عمليات جراحية وادوات لا تظهر فى ما وصلنا من الكتب الطبية القديمة وعلى ذلك فانه يمكن اعتبارها من ابتكار الزهراوى او انها من اصل عربى .

ومن طريف ما يذكر ان ملكة البشكنس طوطة - اضطرت الى زيارة قرطبة على عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث «الناصر» عام ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م مصحوبة بحفيدها غرسية ابن شانجة الذى كان يشكو من بدانة مفرطة مما نفر منه رعيته فعالجه طبيب الناصر مما كان يشكو منه ولم يكن ليعالج فى غير قرطبة ، وهكذا استعاد غرسية - على حد قول المستشرق الهولندى دوزى - وسامته وعرشه «٣٧» .

وعلى اثر انتشار وباء الطاعون فى اوربا ومنطقة البحر المتوسط فى منتصف القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى عزا الاوروبيون انتشار الوباء الى اليهود او الى الاجرام السماوية او الى غضب الله من آثام البشر الا ان ابن الخطيب - العالم والوزير الغرناطى الشهير المتوفى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م - كتب رسالة اكد فيها ان الوباء ينتقل عن طريق العدوى . وفى عام ١٣٨٢ م نشر استاذ بجامعة مونبيلييه - المتأثرة بمعارف الاندلس - كتابا عن الطاعون قال فيه بانتشار الوباء عن طريق العدوى ونفى التأثير المزعوم للنجوم وغيرها .

ولتقدير ما اكده ابن الخطيب من ان الوباء ينتقل من شخص الى آخر عن طريق العدوى ينبغى ان نذكر ان فكرة انتقال المرض بالعدوى لم يؤكدها اطباء اليونان ومر بها اطباء القرون الوسطى مر الكرام «٣٨» .

وقد ساهم اطباء بلرم فى نمو أقدم مدرسة للطب فى اوربا وهى مدرسة سالرنة بجنوب ايطاليا وبدأت ترجمة المؤلفات الطبية العربية فى ايطاليا منذ مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . ويذكر اسطفان الانطاكى سنة ١١٢٧ م ان علماء الطب يوجدون فى الدرجة الاولى فى صقلية وسالرنة . ان حرص فردريك الثانى - صاحب صقلية - على صحته جعله يولى عناية خاصة للجراحة والطب . وهو الذى احيى مدرسة الطب العربية فى سالرنة وانشأ فيها اول قسم للتشريح فى اوربا . كما اسس جامعة نابلى سنة ١٢٢٤ م واودع فيها مجموعة من المخطوطات العربية . وفى صقلية قام اليهودي فرج بن سالم من مدينة جرجنت بترجمة كتاب «الحاوى» للرازى سنة ١٢٧٩ م .

ان اشهر علماء النبات والصيدلة فى الاندلس - بل فى العالم الاسلامى - ابن البيطار الذى ترك لنا كتابين عن الحشائش الطبية اودع فيهما حصيلة بحوثه وتجاربه وملاحظاته تناول فيهما حوالى ١٤٠٠ مادة نباتية من بينها ٣٠٠ مادة جديدة «٣٩» .

فى مجال الفلسفة والآداب :

ان فى قمة المنجزات العظيمة لعرب الاندلس الفكر الفلسفى ، فالفلاسفة الاندلسيون - مع اخوانهم فى المشرق - نقلوا الفلسفة الاغريقية الى الغرب اللاتينى مضيفين مساهماتهم لاسيما فى محاولة التوفيق بين الايمان والعقل والدين والعلم وكان القرن

السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى اعظم قرن فى تاريخ الفكر الفلسفي فى الاندلس . ففي بداية القرن عاش ابن باجة وواصل عمله ابن طفيل «ت ١١٨٥ م» الذى اشتهر بكتابه «حى بن يقظان» . وهو حكاية رمزية تحاول التوفيق بين الفلسفة والدين وقد ترجم الى اللاتينية ومعظم اللغات الاوروبية ومنه استوحى القصصى الانجليزى دانيل ديفو ـ فى مطلع القرن الثامن عشر قصته الشهيرة «روبنسون كروزو» .

ان اعظم فلاسفة القرن الثانى عشر هو ابن رشد Averroes «ت ١١٩٨ م» الذى عرف فى العالم المسيحى فى المقام الاول بشروحه وتعليقاته على ارسطو طالبس . والى نهاية القرن السادس عشر بقيت الرشدية averroesm المدرسة الفكرية المهيمنة فى الدراسات الفلسفية . واصبحت كتاباته دراسات مقررة فى جامعة باريس منذ منتصف القرن الثالث عشر وكذلك فى جامعة بادوا الايطالية «٤٠» .

وفى بلاط فردريك الثانى صاحب صقلية كان ابرز اعلام الفكر مايكل سكوت الذى ترجم العديد من شروح ابن رشد على كتابات ارسطو ، الى مايكل سكوت يرجع الفضل فى تعريف الغرب بابن رشد .

وكان فردريك الثانى شديد التأثير بمختلف فروع العلوم الاسلامية مما جلب عليه سخط الكنيسة . وقد وجه فردريك عدداً من الاسئلة الفلسفية تعرف بالمسائل الصقلية الى السلطان الموحدى بمراكش الذى احالها على الفيلسوف والصوفى الشهير عبد الحق بن سبعين ـ وكان مقيماً بمدينة سبتة ـ فكتب ابن سبعين رسالته الشهيرة «الاجوبة عن المسائل الصقلية» رداً على اسئلة الامبراطور . وكانت الاسئلة تدور حول مواضيع فلسفية وفقهية منها الاستفسار عن قول ارسطو بازلية العالم وعن خلود الروح بعد الموت ، كما استفسر فردريك فى احد الاسئلة عن معنى الحديث النبوى الشريف القائل بان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن «٤١» .

وفى مطلع القرن العشرين ذكر المستشرق الاسبانى خوليان ريبيرا ان للموشحات والازجال الاندلسية اثراً حاسماً فى مولد الشعر الغنائى الاوربى . ومن بين اوائل شعراء التروربادور جيوم التاسع ، دوق اكتين المجاورة للاندلس ، ثم ماركابرو وسيركامون من منطقة غسقونية المتاخمة لشمال اسبانيا «مطلع القرن الثانى عشر» . وعلى ذلك ، فان اتصال الجيل الاولى من شعراء التروبادور بالحضارة العربية الاسلامية فى الاندلس كان اتصالا مباشراً . ولعل لكتاب «طوق الحمامة» لابن حزم القرطبى «ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م» اثراً قويا فى نشأة شعر التروبادور ، اذ فيه كثير من الموضوعات والاصطلاحات التى تتكرر فى شعر التروبادور كالرقيب والواشى والعذول «٤٢» .

ويرى الأستاذ جيب(gibb) انه نظراً لعدد المطابقات وطبيعتها بين شعر البلاط فى الأندلس والشعر فى بروفانس (جنوب فرنسا) ، فان نظرية النقل لا يمكن اغفالها ، وان الشعر العربى ساهم ـ بشكل ما ـ فى نشأة الشعر الجديد فى اوروبا (٤٣) .

وقد لقيت نظرية ريبيرا تأييداً كذلك من العالم اللغوى والمؤرخ الاسبانى الشهير ميندز بيدال الذى وسع نطاق المقارنة بين الموشحات والازجال الاندلسية وبين شعراء

التروبادور بجنوب فرنسا فدلل على وجود بحور الازجال فى الشعر الغنائى الغاليسى ـ البرتغالى ، وفى القشتالية والايطالية القديمة «٤٤» .

ويرى ميشيل أمارى ان ثمة صلة بين الشعر العربى الذى نظم فى صقلية وبين ظهور الشعر الايطالى المبكر الذى نظم فى الجزيرة . وكان الشعر باللغة الدارجة ينشد فى بلاط فردريك الثانى على طريقة البروفنسال (التروبادور) ، وكان ذلك بوحى من التقليد العربى الاندلسى المتمثل فى الموشحات والازجال . ويرى بعض الباحثين ان بحور الشعر الشعبى المبكر الذى نظم فى ايطاليا ـ كأغانى الكرنيفالات والقصائد الروائية ـ ballata تشبه كثيراً بحور واوزان الازجال الاندلسية . وقد يكون لنمو الشعر باللغة الدارجة الصقلية تأثر بالشعر الشعبى العربى الذى نظم فى الجزيرة ذاتها «٤٥» .

ان اول ملحمة اسبانية ـ ملحمة السيد boema delcid ـ كثر الجدل حول منشئها أهو فرنسى أو جرمانى ، وكان الباحثون يستبعدون دائماً احتمال وجود اصول عربية للشعر الملحمى . وفى سنة ١٩١٥م طلع المستشرق الاسبانى ريبيرا برأى جديد فى هذا الميدان ، وهو ان الشعر الملحمى الاسبانى ذو اصول اندلسية اسلامية «٤٦» .

ومهما قيل عن دور الشعر العربى وتأثيره فى نظم الشعر عند الشعوب اللاتينية فان دين اوروبا فى العصر الوسيط للكتابات النثرية العربية لا مجال للشك فيه ، وبخاصة فى مجال القصص والحكايات . فعن طريق الحجاج النصارى الى بيت المقدس والتجار، استمد بوكاشيو حكاياته المشرقية الواردة فى كتابه (دى كاميرون) ، كما ان تشوسر (chaucer) الشاعر الانجليزى فى القرن الرابع عشر ـ اخذ حكايته squieres tale من كتاب (الف ليلة) . ويقول الاستاذ جيب ولعله ليس من باب المبالغة القول بان هذه القصص لبت حاجة ماسة لدى الكتاب الشعبيين فى الغرب ، فلولاها لما ظهر كتاب (روبنسون كروزو) ، ولا (رحلات جليفر) «٤٧» .

ويرى الباحث الايطالى تشيرولى cerulli أن كتابة القصة الايطالية يمكن تتبع اصولها الى مصادر عربية ، واستمر هذا التأثير العربى على كتابة الحكايات الايطالية من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر «٤٨» .

وكان سيجيل آسين بلاثيوس قد طرح فى اوائل هذا القرن نظرية مثيرة مفادها ان (الكوميديا الالهية) لدانتى متأثرة الى حد بعيد ـ فيما يتعلق بالآخرة ـ بالدين الاسلامى ، وأنه يظهر فيها تأثير (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى وكذلك كتاب (الفتوحات المكية) لابن العربى . وقد تعززت هذه النظرية اخيراً بعد ان تبين ان قصة الاسراء والمعراج كانت قد ترجمت فى اسبانيا فى القرن الثالث عشر الى اللغات القشتالية والفرنسية واللاتينية ، وان الترجمة كانت واسعة الانتشار ومعروفة فى ايطاليا فى القرن الرابع عشر فى عهد دانتى «٤٩» .

نشطت فى قشتالة فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر فى عهد الفونس العاشر المعروف بالفونس الحكيم وتحت رعايته ـ كتابة التاريخ على الطريقة الحولية اقتداء بالطريقة الاسلامية فى تدوين التاريخ ، فدونت عدة حوليات من اشهرها الحولية التاريخية الكبرى لاسبانيا . وقد اعتمد واضعوها على مصادر تاريخية عربية ككتب

الرازى وتاريخ ابن علقمة وتاريخ ابن الكردويوس التوزرى ، وبخاصة فيما يتعلق باخبار السيد القنبيطور المنترى فى بلنسية (١٠٩٤ ـ ١١٠٢م) منقولا عن رواية ابن علقمة الذى كان فى بلنسية وشهد احداثها ومحنتها ودون كل ذلك فى كتابه (البيان الواضح فى الملم الفادح) الذى لم تصلنا منه سوى نتف فى المصنفات العربية .

فى مجال الجغرافيا والملاحة البحرية

افاد الاوربيون كثيراً من كتب الجغرافيا والرحلات العربية . فلم تعرف اوربا داخل افريقيا الا عن طريق الكتابات العربية التى ظلت مرجعهم الوحيد عن هذه المناطق حتى القرن التاسع عشر . وكروية الأرض لم تكن امراً مسلماً به عند الاوربيين ، وفى الوقت الذى كان فيه الجغرافيون العرب يجمعون على هذه الحقيقة . فلو لم يشع العرب نظرية كروية الارض ، لما خطر ببال كريستوفر كولمبس ان الاتجاه غربا يمكن ان يؤدى به الى الهند ، ولما اكتشف بالتالى العالم الجديد «٥٠» . وللادريسى فضل كبير ، اذ حصل الاوروبيون من كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الافاق) على معلومات دقيقة نسبيا عن الهند والصين والنصف الشمالى من افريقيا مما استمده الادريسى من كتب الجغرافيين والرحالة المسلمين ومما دونه نتيجة لرحلات قام بها هو شخصيا «٥١» . يقول نوريتش norwich فى كتاب صدر مؤخراً عن صقلية النورمانية إن كتاب الادريسى هو اعظم عمل جغرافى فى القرون الوسطى . ففى الصفحة الاولى من الكتاب يذكر الادريسى ان الأرض كروية الشكل «٥٢» .

ومما اخذه الاوربيون عن العرب فى علوم الملاحة هبوب الرياح الموسمية فى المحيط الهندى فى اتجاهين مختلفين فى موسمى الصيف والشتاء فسموها monsoon من موسم فانتفعوا بذلك ..

فى حركة الكشوف البحرية والوصول الى الهند من ساحل افريقيا الشرقى .

والبوصلة تم تطويرها على أيدى العرب والأوربيين ، وكان يعتقد الى عهد قريب أنها من اختراع الصينيين ولكنه تبين الآن ان الملاحين الصينيين استعملوها حوالى سنة ١١٠٠م بعد ان اخذوها عن العرب اذ كان الصينيون يتاجرون ـ منذ القرن التاسع الميلادى ـ مع منطقة الخليج العربى والبحر الأحمر (٥٣) .

وبالنسبة لأشرعة المراكب نقل العرب الى البحر المتوسط حصيلة تجاربهم فى المحيط الهندى . ففى ملاحة المحيط الهندى عرف الشراع المثلث الشكل المسمى Lateen فأدخل العرب الى البحر المتوسط المراكب التى تستعمل هذا النوع من الشراع Lateen Caravel ومن مزاياها قدرتها على السير مواجهة للريح بينما المراكب التى تستخدم المربعة لا تصلح للسير الا فى اتجاه الريح . فأخذ بناة السفن فى أوربا ذلك عن العرب وطوروه بحيث تسنى بناء سفن كبيرة تجتاز المحيط الأطلسى ، ولا سيما من قبل الأسبان

والبرتغاليين فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ومزجوا بين النوعين من الأشرعة .

كما ان الخرائط الملاحية المعروفة باسم Portolars ـ وهى بالغة الأهمية للملاحين ـ طورها الجنوبيون وغيرهم من خرائط المسلمين (٥٤) . ومما يذكر فى هذا الصدد ، ان « دار الصناعة » ـ وهى دار بناء المراكب عند العرب ـ انتقلت الى معظم اللغات الأوربية بهذا المعنى ، فهى فى الأيطالية Arsenale وفى الاسبانية Darsena وفى الأنجليزية arsenal

لقد تسنى للبرتغاليين إحراز كشوفاتهم البحرية بفضل اقتباسهم طريقة بناء المراكب العربية التقليدية فى غرب الأندلس ، فعلى أساسها استطاع الأمير البرتغالى هنرى الملاح بناء المراكب السريعة المسماة Caravels وهى مراكب شراعية فائقة السرعة . ومن المعروف كذلك أن الامير هنرى الملاح استعان بأحد رسامى الخرائط اليهود ـ واسمه ابراهام كريسك ـ من جزيرة ميورقة استدعاه الى لشبونة لهذا الغرض . ولا شك ان هذا الرسام اليهودى كان على اطلاع على الخرائط العربية فى الاندلس والمغرب (٥٥) .

ولابد من الاشارة الى كتاب (وصف افريقيا) للحسن الوزان ـ المعروف بليون الأفريقى ـ الذى الفه بالايطالية معتمداً على مسودة للكتاب بالعربية كانت فى حوزته حينما أسره القرصان الايطاليون قرب جزيرة جربة سنة ٩٢٣ / ١٥١٨م . ومنذ ظهور الكتاب أدرك الأوربيون أهميته وأفادوا مما فيه من معلومات أوردها شاهد عيان عن أراض ـ وخاصة السودان الغربى ـ كانوا يجهلونها . والكتاب « منجم من المعلومات الجديدة التى طالما كان يبحث عنها ، وظل على مدى قرنين ونصف القرن لا غنى عنه لكل من له اهتمام بأفريقيا » (٥٦) .

الرياضيات و الفلك

ان الخوارزمى كان أول من برز فى علمى الرياضيات والفلك ، وقد عرف عند الأوربيين باسم Algorismus . وكلمة (الجبر Algebra) مشتقة من احد مؤلفاته ، وكان أول من استعمل فى الحساب الأرقام العربية .

عرف العرب الصفر ـ ومنه اشتقت كلمتا zero , cipher قبل ان يعرفه الغرب بثلاثة قرون . يقول الخوارزمى فى كتابه (مفاتيح العلوم) بضرورة استعمال دائرة هى المسماة بالصفر . ان هذه المفردات ـ الجبر . الصفر ـ لوغارتم ـ بقيت شاهداً على الدور الذى قام به العرب فى تأسيس علم الحساب ونشره (٥٧) .

يذكر صاعد بن احمد الطليطلى فى كتابه (طبقات الأمم) الرياضى الأندلسى الكبير أبا القاسم مسلمة المجريطى (ت ١٠٠٧م) ـ نسبة الى مجريط أى مدريد ـ فيقول : « كان إمام الرياضيين فى الاندلس فى وقته ، واعلم ممن كان قبله بعلم الأفلاك (٥٨) وكان يلقب بالحاسب .

ان الزائر الى مدينة لشبونة فى أيامنا هذه يحرص على الاستماع الى وصلات من الغناء الشعبى البرتغالى يرافقه عازف القيثارة juituar . وهو غناء شجى يشوبه الحنين ويعرف باسم fado والكلمة من العربية الحدو أى الحداء . ان هذا اللون من الغناء الشعبى البرتغالى ـ حما يقول حسين مؤنس ـ حداء بدونا عبر البحار والعصور وصل الينا فى غلاف برتغالى (٦٢) .

الرباطـــــــات

يرى بعض كبار المؤرخين الاسبان المحدثين أن النظم الديرية العسكرية /نظم الفرسان military orders التى برزت الى حيز الوجود فى شبه جزيرة ايبرية ابتداء من منتصف القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ـ كنظم santiag cnlatrara alcartara ـ إن هى الا تقليد للرباطات الاسلامية فى مناطق الثغور الأندلسية حيث كان المرابطون فيها يجمعون بين العبادة والجهاد فى سبيل الله والدفاع عن ارض الاسلام . يقول احد هؤلاء المؤرخين castro إنه قبل ظهور النظم الديرية العسكرية لدى النصارى بقرون ، عرف المسلمون الرباطات التى كان يعتكف فيها الزهاد وينقطعون للعبادة والدفاع عن الحدود . وهكذا فاننا نجد اليوم فى كل من اسبانيا والبرتغال اماكن كثيرة تحمل اسم rebute rapita rapida . وما احتفاظ الاسبان والبرتغاليين باسماء هذه الأماكن سوى دليل على وجود رباطات اسلامية كانت تحمل هذا الاسم من قبل (٦٢) .

المفردات العربية فى اللغتين الاسبانية والايطالية

يقول الأستاذ تريند Trend من جامعة كمبردج إنه لاشىء اوضح دلالة على ماتدين به اسبانيا للمسلمين من وفرة المفردات العربية فى لغتها (٦٣) . وقد جمع دوزى وانجلمان مايزيد على ١٤٥٠ مفردة اسبانية وبرتغالية مشتقة من العربية فى قاموسهما (٦٤) . وفيما يلى مختارات من هذه المفردات فى الاسبانية والايطالية .

أ ـ الاسبانية

الادارة : Alcalde من (القاضى) وتعنى عميد البلدية ، Almotacen من (المحتسب) .
عسكرية : Alferez من (الفارس) وتعنى حامل الراية وملازم ثان Alarde من (العرض) .
Alcazapa من (القصبة) بمعنى القلعة او الحصن .

واشتهر جابر بن افلح بما قدمه فى ميدان علم المثلثات . وهو علم حقق فيه العرب تقدماً كبيرا . وكان الانجليزى روبرت أوف تنستر أول من استعمل فى القرن الثانى عشر المصطلح العربى (جيب) فى علم المثلثات مترجماً الى Sine .

وتركزت اعمال علماء الفلك حول الزيج ـ الجداول الفلكية ـ وأعد البتانى Albateginus فى حدود سنة ٩٠٠م جداول دقيقة فيه . وقد استعملت ملاحظاته عن الخسوف والكسوف لأغراض المقارنة حتى عام ١٧٤٩م (٥٩) .

والأندلسى الزرقالى Arzachel (ت ١٠٨٧م) هو الذى اخترع الاسطرلاب المعروف بالصفيحة وله رسالة فى الموضوع ترجمت الى اللاتينية فى مونبيلييه . ويقتبس كوبرنيك عن كل من البتانى والزرقالى فى كتابه عن دورة الأفلاك .

وقد ترك العرب آثارهم الخالدة فى اسماء الكواكب ومعظمها باللغات الأوروبية تحمل اسماء عربية كالعقرب والجدى ، والطائر ، والذنب ، والفرقد (٦٠) .

ان الارقام ـ الهندية و « حروف الغبار » وصلت الى اوربا عن طريق العرب وعرفت باسمهم (الارقام العربية Arbic numerals) . والمعروف ان جربرت الذى أمضى عدة سنوات فى اسبانيا قبل ان يصبح البابا سلفستر الثانى (٩٩٩ ـ ١٠٠٣م) كان أول اوربى وصف علميا « ارقام الغبار » التى طورها الأندلسيون عن الأرقام الهندية . وكان ذلك بعد قرن من ظهور اقدم المخطوطات العربية التى تشتمل على هذه الارقام .

وكان فردريك الثانى صاحب عقلية على اتصال شخصى او بالمراسلة بالعلماء العرب المبرزين وقد وجه اليهم مسائل مختلفة ومن بينهم علم الدين الحنفى ، وهو رياضى مرموق أوفده السلطان الايوبى الكامل مبعوثا الى بلاط فردريك . وكان من بين الرياضيين البارزين فى بلاط فردريك الايطالى ليناردو فيبوناتشى الذى كان قد درس فى بجاية والأندلس والمشرق ، واليه يرجع الفضل فى إدخال الأرقام العربية الى اوربا (٦١) .

الموسيقى

ادخل العرب الى شبه جزيرة ايبريا ـ او استحدثوا فيها ـ عددا كبيرا من الآلات الموسيقية التى ما زالت تعرف فى الاسبانية باسمائها العربية ، ومنها الدف Adufe والشبابة Ajapape والبوق Alpogon والطبل Atapal والعود Laind والصنجات Sonajas والقيثارة Juitar والربابة Repec . والربابة هى مقدمة للفيولين ، وبها يعرف الفيولين فى اللغة البرتغالية .

كما عمل عازفون مسلمون فى بلاطات امراء النصارى فى شمال اسبانيا ، لابل ان رجال الكنيسة كانوا يطربون لسماع الأغانى الشعبية العربية ، مما حدا بالمجمع الكنيسى فى مدينة بلد الوليد فى سنة ١٣٢٢م حظر استخدام العازفين العرب لبعث روح البهجة فى صلوات التهجد فى الكنائس ليلا . كما جلب العرب رسائل فى الموسيقى العربية ترجمت الى اللاتينية وذاعت فى شمال اسبانيا . وقام العديد من واضعى النظريات الموسيقية بالاقتباس عن الفارابى .

تجارية : Aduana من (الديوان) وتعنى الجمارك Almacen من (المخزن) . Fonda من (فندق) .
موازين ومقاييس : Arropa من (الربع) Almud من (المد) .
ملابس شرقية : Aljupa من (الجبة) Alpornoz من (البرنس) . Alfayate من (الخياط) .
الفلاحة : Acequia من (الساقية) Noria من (الناعورة) Almazara من (المعصرة) .
نباتات : Arroz من (الارز) Azucar من (السكر) ، Aceite من (الزيت) .
أدوات منزلية : Jarra من (جرة) ، Alcolla من (القلة) Almohada من (المخدة) .
المعمار : Alpanil من (البناء) ، Alcopa من (القبة) .
العاب : Aljedrez من (الشطرنج) .
أدوات موسيقية : Laud من (العود) ، Atapal من (الطبل) ، Adufe من (الدف) .
أسماء اماكن : Guadaljuivir نهر (الوادى الكبير) ، Alazir من (القصر) ، Rupita من (رابطة) ، Calatayub وهى (قلعة ايوب) .

ب ـ الايطالية والصقلية

يقول المستشرق الايطالى جابرييلى : إن خلاصة التأثيرات العربية على الحضارة الايطالية فى العصور الوسطى انما نجده فى العناصر اللغوية العربية التى تسربت الى الايطالية والصقلية ، لاسيما فى المجالات الاقتصادية (٦٥) . ويقول الباحث الصقلى مورينو إن الفاظا عربية كثيرة مازالت متداولة على السن الصقليين (٦٦) . وفيما يلى نماذج من هذه المفردات .

اقتصادية : Dogana الديوان ، وتعنى الجمارك ، Maggazino مخزن ، Tari من (طرى) وهو اصلاً ربع الدينار او الرُباعى فى عملة صقلية الاسلامية ، Zecca من (سكة) بمعنى دار ضرب العملة .
فلاحية : Noria من (ناعورة) ، Senia من (سانية) ، Acequia من (الساقية) ، Mazzara من (معصرة) ، Naranzu من (نارنج) ، اى البرتقال ، Zagara زهرة البرتقال او الليمون .
اوعية : Garrafu / Caraffu من (قرافة) ، Hiarr من (جَرَّة) ، Ziro من (زير) Citusu من (قادوس) .

موازين ومقاييس : Caffisu من (قفيز) ، Centaro من (قنطار) ، Rotolo من (رطل) ، Rubbio من (ربع) .
ملبوسات وادوات منزلية : Giubba من (جُبَّة) ، Caffettano من (قَفْطان) ، Gasena من (خزانة) .

ماكولات : Etria من (أطرية) ، بمعنى المكرونة الرفيعة غير المثقوبة ، Cuscusu (الكسكسى) ، Sfinza (أسفنج) .
متفرقات : Carara (حرارة) ، Cassara (خسارة) ، Filano (فلان) ، Fucuruna (فكرونة) ، اى السلحفاة .
أسماء اماكن : Marsala مرسى على ، Caltabellotta قلعة البلوط ، Favara فوّارة ، Marzamemi مرسى الحمام ، Alcamo علقمة .

١ - مصادر ومراجع بالعربية

ابن بسام الشنتريني ، على : الدخيرة فى محاسن اهل الجزيرة . القسم الأول ، المجلد الأول . تحقيق إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ١٩٦٨ م .

ابن جبير ، محمد : رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٨ م .

ابن حوقل ، محمد : صورة الأرض ، بيروت (بدون تاريخ) .

ابن عبدون ، محمد : رسالة فى القضاء والحسبة (ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة) . تحقيق إ . ليفى - بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

اثر العرب والاسلام فى النهضة الأوربية (دراسات لعدد من الباحثين) ، القاهرة ١٩٧٠ م .

أحمد ، عزيز : تاريخ صقلية الاسلامية ، تعريب وتعليق امين الطيبى ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٠ م .

الادريسى ، محمد : صفة جزيرة الأندلس (قطعة مستخرجة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) . تحقيق دوزى ودى خوية ، ليدن ١٨٦٦ م .

تراث الاسلام ، تصنيف شاخت وبوزورث ، القسم الأول ترجمة محمد زهير السمهورى ، الكويت ١٩٧٨ م .

تراث الاسلام ، تصنيف شاخت وبوزورث ، القسم الثالث ، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقى العمد ، الكويت ، ١٩٧٨ م .

الحموى ، ياقوت : معجم البلدان ، المجلدان الثالث والرابع ، بيروت ١٩٧٩ م .

الطيبى ، امين : " اغنام المرينو ذات اصل مغربى " ، مجلة كلية التربية ، جامعة الفاتح ، العدد ١٣ (١٩٨٠ م - ١٩٨١ م) .

: « السياسة العربية للامبراطور فردويك الثانى صاحب صقلية » . مجلة كلية التربية ، جامعة الفاتح ، العدد ١٥ (١٩٨١ م - ١٩٨٢ م) .

: « مدينة لشبونة الاسلامية » ، مجلة كلية التربية ، جامعة الفاتح . العدد ١١ (١٩٧٨ م - ١٩٧٩ م) .

: « النقود العربية - انتشارها واثرها فى أوربا فى القرون الوسطى » . المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية ، الجامعة التونسية ، السنة الثامنة عشرة ، العدد ٦٧ (١٩٨١ م) .

المقرى ، أحمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٩ م .

المكتبة العربية الصقلية ، نصوص تاريخية وجغرافية وادبية جمعها وحققها ميشيل امارى ، ليبسك ، ١٨٥٧ م .

مورينو ، مارتينو ، ماربو : المسلمون فى صقلية ، بيروت ١٩٦٨ م .

مؤنس ، حسين : رحلة الأندلس ، القاهرة ١٩٦٣ م .